مجلة آفاق علمية ISSN: 1112-9336
المجلد: 16 العدد: 01 السنة 2024 ص 489 - 505

تاريخ الإرسال: 2024/01/28 تاريخ القبول: 2024/05/01
تاريخ النشر: 2024/05/16

حضور المصطلح الرياضي وإجراءاته في آليات النقد عند يوسف وغليسي.

The presence of the mathematical term and its procedures in the mechanisms of criticism by Youssef Waghlissi

بن زاهية خديجة [1]، رخرور أمحمد [2]
المركز الجامعي آفلو (الجزائر)،
[1]k-benzahia@cu-aflou-edu.dz
المخبر: اللسانيات التقابلية وخصائص اللغات.
المركز الجامعي آفلو (الجزائر)، [2] rakhrour_moh@yahoo.fr

الملخص:

اهتم يوسف وغليسي بالعديد من القضايا النقدية ومن أهمّها المنهج والمصطلح، والّتي شغلت العديد من مدوّناته من بينها: مناهج النقد الأدبي مفاهيمها وأسسها، وتاريخها وروّادها وتطبيقاتها العربية، النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد ناقشها بعدّة آليات نقديّة، من بينها اتّخاذ منحى علميّ في طرحه النّقدي كتوظيف المصطلح الرّياضي وإجراءاته.

فكانت مجال طرحنا هذا لدراسة المصطلح الرياضي وإجراءاته في منجزه النّقدي، حيث قدّمنا هذا الاستعمال التنظيري والتّطبيقي له، بغية تحديد دواعي هذا المنحى العلميّ وجدواه في النّقد الأدبي.

الكلمات المفتاحية: النقد الأدبي–المصطلح الرياضي–الإجراءات– المنحى العلمي.

Abstract:

Youssef Waghlissi focused on many critical issues, mainly the method and the term that were ackled in many of his publications. These issues include the methods, concepts, bases, history, pioneers, and Arab applications of the literary criticism, the Algerian criticism from the non-feminism into the linguistics, the issue of the term in the new Arab critical discourse, etc. He discussed these issues with critical mechanisms including the scientific orientation in his critical premise, such as the use of the mathematical term and its procedures.

Thus, this paper studies the mathematical term and its procedures in the critical work. In this context, we tackle its theoretical and practical use to determine the causes of this scientific orientation and its role in the critical discourse.

Keywords: critical discourse; mathematical term; procedures; scientific orientation.

المؤلف المرسل: بن زاهية خديجة، K-BENZAHIA@CU-AFLOU.EDU.DZ

1.مقدمة:

عرف الخطاب النقدي العربي المعاصر تحوّلا نحو استكناه الأعمال الأدبيّة من جانبها السياقي إلى الجانب النّصّاني الّذي أقصى الدّراسات اللانسونيّة في ظلّها بمناهج تستهدف علمنة النّقد قصد استنطاق القضايا بموضوعيّة ودقّة علميّة، اعتمدت إجراءات خاصّة تخوض عبرها الدّاخل النّصي، ولما عرفته هذه المناهج من قضايا شائكة وفدت إلى السّاحة العربيّة وصعوبة التّعامل معها تنظيرا وتطبيقا،

فكانت مجال اهتمام الكثير من النّقاد العرب ومن بينهم النّاقد الجزائري "يوسف وغليسي" الّذي قدّم عدّة دراسات نظريّة وتطبيقيّة حولها.

من خلالها ناقش عدّة قضايا منهجيّة وبحث ضمنها على إشكالية التعدّد المصطلحي بعدّة آليات نقدية، بالعرض والتحليل، فمزج طرحه بين لغة نقدية وفكر كمّي أساسه الرياضيات وتقنياتها، فنجده يستعين بمصطلحات رياضية وآلياتها، بعضها فرضتها طبيعة الدراسة خاصّة ما تعلق بالإحصاء وأخرى لم يكن الغرض منها سوى التمثيل الكمّي، ما يحيلنا إلى طرح التّساؤلات الآتية:

- ✓ كيف يمكن لهذه اللّغة الرّياضيّة أن تعبّر عن كتابات نقديّة؟
- ✓ ما الغاية من توظيف المصطلح الرّياضي وإجراءاته؟
- ✓ هل غايته في ذلك تأكيد علمنة النقد الأدبي بهذا الاستعمال؟
- ✓ إلى أيّ مدى وفّق وغليسي في توظيف المصطلح الرّياضي كإجراء علميّ؟

هذه التساؤلات وأخرى كانت دافعنا الأول في محض هذه الدراسة لتبيان دواعي هذا الاستعمال العلمي الدقيق ضمن الدراسات النقدية الأدبية وأهمية هذا النهج العلمي الجديد ضمن الخطاب النقدي العربي.

متّبعين المنهج الوصفي التّحليلي بغية عرض هذه الآلية ومصطلحاتها في المنجز النّقدي عند يوسف وغليسي ومدى نجاعتها في التحليل النقدي.

تسعى كلّ المناهج النّقديّة إن لم نقل جلّها على الكشف عن الجماليّة الأدبيّة الفنيّة للنّصوص، فأيّ ممارسة منهجيّة تخضع لآليات معيّنة ومعينة على الدّراسة، وخاصّة مع المناهج الحداثيّة وما بعدها التي تهتمّ بتحليل النّصوص تحليلا علميا،

ينبذ التّقويم المعياري، قوامه الدّراسة النّسقيّة الّتي تهتمّ بالداخل النّصي، فأضحت الحاجة ملحّة إلى أهمية القياس والدقة في العلوم الإنسانية وخاصة مجالات الدراسة الأدبية لإحساسهم بقصور الإدراك الكيفي "فالاعتماد عليه وحده للأشياء، لا يفيد في صنع هذه الأشياء، أمّا الإدراك الكمي للأشياء فإنه يفيد في صنع هذه الأشياء، والتحكم فيها"[1].

فالسبيل إلى هذه الدقة العلمية في دراسة ظاهرة أدبية ما، إنّما مجاله الاستعانة بالعلوم وخاصّة الرياضيات "التي لا تتميزّ بالدقة التامة فحسب، بل إنّها هي الدقة ذاتها، حتى إنها تمكننا من قياس عدم الدقّة بدقّة تامة"[2]. فاتّكأت عليها دراسات نقديّة الّتي اتّخذت من هذا المنحى سبيلا علميا كدراسات يوسف وغليسي النقدية، لم يكن ذاك المنحى اعتباطيا وإنّما اعتبارا لعدّة أسس فرضتها الآليات النقديّة نجملها فيما يلي:

2. دواعي منهجية:

اتّسمت العديد من المناهج الحداثية وما بعدها بالعلميّة، أساسها الدّراسة العلميّة للأعمال الأدبيّة، كالمنهج البنيوي الّذي يقوم على أساس تحليل النصوص الأدبية باعتباره نظام من الأنساق اللغوية للبحث في أبنيته، فتحليله يتمركز حول النص ويعزله عن كل العوامل الخارجية، فالبنيوية باعتبارها منهج وصفي فهو " لا يؤوّل وإنما يعتمد على وصف الأبنية الداخلية للنص وعلاقاتها فيما بينهما"[3].ولأن هدف الدراسة البنيوية الكشف على بنية النص التي تعتمد على الدّقة من خلال" إظهار التشابه والتناظر والتعارض والتضاد والتوازي والتجاور والتقابل بين المستويات"[4].

فالبحث عن العلاقات القائمة بين بنيات النص المتوصل إليها تستدعي العمل بالتحليل الرياضي كحساب تواتر الكلمات المعجمية، وتركيب الجمل ، والمستوى الدلالي والرمزي والمستوى الصرفي والصوتي، فتعتمد الدراسة على الحساب والإحصاء وحتى تحديد النسب المئوية للتحديد الدقيق لمستويات التحليل البنيوي، ومن هنا برزت "علاقة البنيوية بالعلوم الطبيعية كالرياضيات والفيزياء والبيولوجيا، فالرياضيات تقوم بدراسة العلاقة بدل الكينونة والأطروحة المركزية للبنيوية هي توكيد أسبقية العلاقة على الكينونة، وأولوية الكل على الأجزاء، فالعنصر لا معنى له ولا قوام إلّا بعقدة العلاقات المكوّنة له، ولا سبيل إلى تعريف الوحدات إلا بعلاقاتها، فهي أشكال لا جواهر"[5].

وأمّا المنهج الأسلوبي الذي يتعامل مع النصوص الأدبية من أجل دراسة خواصها التعبيرية الفنية "بالكشف عن السّمات الفارقة المميّزة للنص على غيره والمحدّدة لطبيعته المختلفة عمّا سواه"[6]. فالبحث عن هذه السمات المميّزة، يجعل الأمر حتميا لاستخدام إجراءات خاصة تنتمي إلى مجال الإحصاء، إذ يمكن أن تقدم عونا كبيرا في تحديد الظواهر الأسلوبية ورصدها بالدقة الكافية في هذا الصدد "مما يضمن تمثيل العينات الصحيحة للكل الشامل بدقّة وتفريغها بطريقة منظمة تسمح باستخلاص النتائج المترتبة عليها بالوضوح الكافي، مراعاة كل ذلك تسمح لنا بأن نتبيّن بعض الظواهر الأسلوبية في شكلها الحسي المباشر الخاضع للاستقراء والتصنيف كخطوة تمهيدية للعبور من الخواص الكمية إلى الخواص الكيفية المرتبطة بالتفسيرات النقدية للظواهر الأسلوبية"[7].

أي أن التحليل الأسلوبي يعتمد أساسا على التحليل الكمي (حساب – قياس –تواتر–إحصاء) ومن خلال الدقّة العلمية المتوصّل إليها يتم التنقل مباشرة إلى

التحليل الكيفي بتفسيرات نقدية لهذه الظواهر الرياضية، وهذا هو لبّ العلاقة بين الجانب الكمي والكيفي في التحليل النقدي.

وباعتبارها علم يهتم بالداخل النصي –مبنى المفردات وتراكيبها –باحثا عن الظواهر الأسلوبية وخصائصها التي تكشف عن أدبية النص، فإنّها تلج إليه من الباب التقني" فتعتمد فيه المقارنة أو الموازنة أو تقنيات المقايسة والإحصاء"[8]. هذه الآلية التي وافق عليها يوسف وغليسي مع محمد الهادي الطرابلسي كمدخل من مداخل التحليل الأسلوبي.

وقد رسم هذا العلم وتراكمت من حوله عدّة رؤى منهجيّة ومعرفيّة عديدة، ممّا جعلت منها اتّجاهات أسلوبيّة متمايزة، "نذكر منها الأسلوبيّة البنيوية الّتي تسعى إلى تحديد المقاييس اللّغويّة النّوعيّة الملائمة أسلوبيا كما مثّلها ريفاتير، الّتي ترتبط بالعلاقات السياقيّة للكلمات"[9].

وحتّى الأسلوبيّة الإحصائيّة المشكوك في صحّتها وجدواها على حدّ تعبير وغليسي، الّذي يرى في تطبيقاتها العربيّة مع سعد مصلوح وعبد الملك مرتاض اللّذان كانا أكثر اعتدادا بهذه الأسلوبيّة القائمة على "استخدام اللّسانيات الرّيّاضية في تحليل الأسلوب عند كاتب ما"[10].

قد أثبت كفاءة مصلوح التّطبيقيّة لمعادلة بوزيمان (Formula Busemann's) (قياس نسبة التعبير بالحدث إلى التّعبير بالوصف) على نصوص عربيّة ابتغاء تشخيص أساليبها. فيتّضح أنّها تقوم على خاصيّة ريّاضيّة وهي القياس الّذي "يعتبر طريقة في البرهنة تنتقل من التسليم بحالة جزئية ثبت صدقها إلى حالة مماثلة لاشتراكهما في علة حدوثهما، رغم حداثة إحداهما عن الأخرى"[11]. ردّا على

كلّ محاولة مناهضة لمثل هذا الإجراء الإحصائي الّذي ثمّن جدوى ممارسته على التّطبيقات العربيّة.

كما وضّح وغليسي هذه الخاصّية الّتي يعوّل عليها كثيرا النّاقد محمد عبد المطلب في إجرائه الإحصائي، إذ " يحصي في دواوين عفيفي مطر 3269 اسما و695 فعلا بما يعني أنّ هذه النّسبة متوافقة مع خاصّية اللّغة، إذ إنّ الاسم يثير ويحرّك، ويستدعي الفعل لتجسيد فاعليّته الحركيّة ومن هنا يأخذ (الاسم) أولوية مركزيّة تعلن عن طبيعة المعنى في الخطاب"[12]. فقد أحصى نسبة الأسماء والأفعال من أجل قياسها لمعرفة توافقها من عدمه مع خاصّية اللّغة.

لكن هذا الإجراء الإحصائي قد عارضه الكثيرون لأن يكون منهجا قائما بذاته، فلم يصنّفوه ضمن المناهج وعارضوا على أن يكون علما منفصلا، لكن حصروا مجاله التّطبيقي لأن يكون ضمن علوم أخرى ليكون في حدود الطّريقة أو المنهجيّة المساعدة لدراسة ظواهرها، وهذا ما أكّده عبد العزيز هيكل الّذي يرى أنّ الإحصاء " علم له قوانينه وقواعده الرّياضّية الخاصّة به ولكن مجال تطبيقه هو في خدمة العلوم الأخرى"[13].

وأمّا الدّافع الّذي من خلاله يرفض عبره وغليسي لأن يكون منهجا علميا منفصلا " لأنّه يفتقر إلى كثير من المقوّمات المنهجيّة، كالاستقلاليّة والقدرة على الانتشار والهيمنة على الظّاهرة الأدبيّة والقدرة على الاختراق للبنية النّصيّة، لا سيما تلك البنى الّتي يصعب إخضاعها للقياس الكمّي"[14]. إذن مجال تطبيقه ضيّق ضمن دراسة الظّاهرة الأدبيّة لأنّه لا يمكن تعميمه عليها ككلّ، بل بعض الجزئيات الّتي تحتاج الإجراء الإحصائي، فيبقى منهجا مساعدا تستند إليه مناهج أخرى.

عوّل على هذا الإجراء الدكتور يوسف وغليسي في مواضع نقديّة عديدة، الّذي يعتمد على حساب التواترات والنسب المئوية وتقنيات رياضيّة أخرى، فقد وجد ضالته بها فأخذت محور الدراسة، وعلى سبيل التوضيح ارتأينا معالجته الموضوعاتية في شعر الفيتوري، فقد صاغها ضمن جدول، من خلاله قام بتوضيح البدائل الإيقاعية التي مست قصيدة "العائدون من الحرب" على نحو منظّم وواضح أكثر كما عرضه على الشّكل الآتي:

جدول توضيحي للبدائل الإيقاعيّة في قصيدة "العائدون من الحرب".

التفعيلة الأصليّة	التّحوّل الإيقاعي	الحد الاصطلاحي	المفهوم العروضي	الموقف العروضي	حالات التواتر	النسبة المئويّة
مفاعلتن (0///0//)	0/0/0//	زحاف العصب	تسكين المتحرك	جائز بحسن	97 مرّة	60.62
	/0/0//	زحاف النقص (عصب+كف)	تسكين الخامس	جائز بقبح	15 مرة	31.87
	00/0/0//.	علة التسبيغ (مع زحاف	زيادة ساكن	ممنوع	10 مرات	6.35
	0///0//	سالمة صحيحة	لم يطرأ عليها أي تغيير	9	مرتان	1.25

المصدر: يوسف وغليسي، 2003، ص، 187[15].

وكأي عمل نقدي لا يكتفي بالمادة الرياضية سبيلا منفردا في دراسة العمل الأدبي وإلا صار ضمن الجرد الحسابي الذي لا فائدة منه، قدّم وغليسي تفسيرا وتحليلا لهذا الجدول المقدم.

أمّا السيميولوجيا الّتي شملت كلّ التّخصّصات العلميّة كونها تدرس العلامة اللغوية وغير اللغوية، والّتي ضمّت التّقسيم الثّلاثي (الرمز . الأيقونة . قرينة)، فإنّ يوسف وغليسي يشيد بقول "شارل بيرس" بالاستخدام الحديث لمصطلح السيميائيات، الّذي صارت معه "السيميائيّة" اختصاصا مستقلا حقيقة، إنّها بالنّسبة إليه إطار مرجعيّ يضمّ كلّ دراسة أخرى في الرّيّاضيّات والكيمياء لقد أغرق كلّ هذه العلوم في فضاء علّامي فسيح، يرتدّ إلى تقسيم ثلاثي (قرينة . أيقونة . رمز) تتفرّع عنه تثليثات متلاحقة، تتحوّل العلامة عبرها إلى علامة أخرى حتّى بلغ مجموع تحديده 66 نوعا من العلامات"[16].

فتكون بذلك السيميائية كونها علما مستقلا قد احتضنت علوما كثيرة من بينها الرّياضيات والّتي اعتدّت بها كثيرا، فالسيميائيّة تركّز على العلامة، وهذه الأخيرة في تقسيماتها قد أخذت منحى رياضيا كونها علم العلامات.

3. دواعي مصطلحيّة:

اهتمّ الدّكتور يوسف وغليسي كثيرا بالجانب المصطلحيّ الّذي شملته معظم كتبه النّقديّة، فلا تكاد تخلو دراسة نقديّة قدّمها من تحليل مصطلحيّ خاصّ بها، وبطبيعة الحال أنّ الدّراسة المصطلحيّة تستدعي الجرد الحسابي لها خاصّة في الخطاب النّقديّ العربي الّذي يعيش فوضى المصطلح، فكان لزاما عليه أن يعتمد الأسس الرّياضيّة الأكثر دقّة لإحصاء هذا الكمّ المصطلحيّ الوافد مع كلّ المناهج الغربيّة، والّتي أعطاها عناية فائقة، إذ خصّها بمدوّنة ضخمة ذات 546 صفحة بعنوان "إشكاليّة المصطلح في الخطاب النّقدي العربي الجديد" ليجعل أحد أبوابها دراسة تطبيقيّة موسومة بـ " المصطلح النّقدّي الجديد وإشكاليّة الدّلالة . دراسة في

الحقول المصطلحيّة . شمل أربعة فصول لـ (الحقل البنيوي والأسلوبي والسيميائي والتّفكيكي)، قرابة مئتي صفحة، الجزء الأكبر من الكتاب.

وعرض لكلّ منهج مصطلحاته الغربيّة ومقابلاتها العربيّة، أملا منه أن تتّضح رؤى كلّ منهما حتّى يتمّ تجنّب التّداخل والاختلاف المصطلحي، ومن بين المفاهيم الّتي تعاطى النّقد العربيّ الجديد معها، اخترنا نموذجا واحدا كونه اعتمد التّحليل المصطلحي لجلّ الدّراسات الّتي قام بها بنفس الإجراء، إذ يحدّد ماهية المصطلح المدروس في ساحته الّتي نشأ فيها ثم انتقاله إلى العربيّة الّتي واجهته بتعدّد مصطلحي فضيع.

ولتوضيح ذلك قدّمنا مصطلح الآنيّة (Synchronie) والزّمانيّة (Diachronie) والّتي تكبّدت إسهالا اصطلاحيّا حادّا في مواجهة هذين المصطلحين، فوضّحهما بجدول عرض ضمنه المقابلات العربيّة مع مرجع التّرجمة (المؤلف، المؤلَّف، الصفحة)، إذ بيّن الجدول أنّ كلا من هذين المصطلحين "قد ترجم بما لا يقلّ عن 15مقابلا عربيّا فمصطلح (Synchronie) مترجم إلى (السّنكرونيّة، التزامن، الّتواقت، التّوقيتي، الآنية، الرّاهن، دراسة الحالة الحاضرة، الوصفيّة) أمّا مصطلح (Diachronie) فترجم إلى 20 مقابلا عربيا بالتّحديد (الدياكرونيّة، الدايكرونية، التعاقب، التّزمّن، الزمنية، التاريخية، عبر الزمنية .) وبعد هذا العرض الكمّي يلجأ إلى التّحليل الكيفيّ الّذي يلازم كلّ عمليّة إحصائيّة من أجل اصطفاء بعض الثّنائيّات الاصطلاحيّة من بين هذا الرّكام الاصطلاحيّ"[17].

ومن المصطلحات الرّيّاضيّة الّتي اتّخذتها كتاباته النّقدية استعمل:

1.3 مصطلح الانعطاف الرّياضي:

يعبّر مصطلح الانعطاف بلغة الريّاضيات عن " نقطة واقعة على منحنى يحدث عندها تغيّر في إشارة الانحناء، أي أنّ المنحنى يتغيّر من كونه محدّبا إلى أعلى (انحناء موجب) ويصير محدّبا إلى أسفل (انحناء سالب) أو العكس"[18]. أي أنّها النّقطة الّتي يعبّر بها عن درجة الانحناء إلى موجب أو سالب، استعملها يوسف وغليسي كنقطة إيجابيّة عبّرت عن منحى جديد سار ضمنه النّقد البنيويّ نحو ما بعد البنيوية، إذ يعتبر "حركة " ما بعد البنيوية" الّتي ظهرت في منتصف ستينات القرن الماضي (أي في عزّ الرّواج البنيويّ!) ليست بقطيعة في المسار البنيوي، إنّما هي في أقصى تقدير نقطة انعطاف بالمفهوم الرّيّاضي . في منحنى الدّالة البنيويّة، تعبّر عن مراجعة البنيويّة لنفسها وتأمّلها في مسار تطوّرها"[19].

2.3 المعادلة الريّاضيّة لتحديد ترجمة مصطلح غربي ومقابله العربي:

إنّ المعادلة كتعبير رياضي مساو لتعبير رياضي آخر بحيث تتعادل القيمتين الّتي تتواجد على طرفي المساواة فتتحقق المطابقة والمماثلة بين الطرفين، قداستعملها يوسف وغليسي لتوضيح دواعي رفضه لمصطلح السيميّة الّتي قرّرها مجمّع اللّغة العربيّة بالقاهرة، لأنّه" يلتبس بصيغة النّسبة إلى مصطلح سيميائي آخر (Sème) في شكله المعرّب المألوف عند عامّة السيميائيّين العرب (التّحليل السيمي= l'analyse Sémique)، الّذي يتداخل مع نتيجة الاقتراح "المجمّعي" (التّحليل السيمي = l'analyse Sémantique) "[20].

4. دواعي أخرى:

1.4 مغالطة حسابية:

استعمل يوسف وغليسي المعادلة كمغالطة حسابية بهدف أن يوضّح هول التّعدّد المصطلحي العربي لمفهومين غربيين، فعبّر عن ذلك بمعادلة ريّاضيّة كونها تقربّ الفكرة أكثر من اللّغة العاديّة وكونها تلفت الانتباه بنظامها العددي ضمن الكتابة اللّغويّة، فيقول: "ستّة وثلاثون مصطلحا عربيا (وما خفي عنّا سيجعل الأمر أعظم!) في مواجهة مصطلحين أجنبيّين اثنين يعبّران عن مفهومين متداخلين لكنّهما واضحان نسبيّا، أي أنّ المعادلة الغربية (2=2) انتقلت إلى الوطن العربي بشكل لا يمكن أن يكون إلاّ مشوّها (2=36!!!)[21].

فالمعادلة الأخيرة بمجرّد رؤيتها توحي بمغالطة حسابيّة، تعمّدها ليمثّل بها هذا الجرف من المصطلحات العربيّة لمفهومي السيميائيّة والسيميولوجيّة، الّتي رفضها العقل المنطقي حتّى نراجع أنفسنا للحدّ من هذا المدّ الاصطلاحي الّذي يعاني منه الخطاب النّقديّ العربي.

2.4 الاختصار:

استعملها لغاية الاختصار حين درس تحليل قصيدة "العائدون من الحرب"، والتي صنفها ضمن "القصيدة العمودية من مجزوء الوافر (مفاعلتن×4) تتشكل من 40 بيتا. أعاد صياغتها بعملية ضربية حسابية لعدّ الوحدات الإيقاعية بالقصيدة كالآتي 160=(40×40) وحدة إيقاعية (تفعيلة)[22].

3.4 تقريب المفهوم:

يستعملها في مواضع أخرى لتقريب المفهوم الذي يودّ تفسيره مثلما فعل حين أراد أن يشرح فكرة النقص الذي يشعر به الفيتوري وبم عوضه؟ وكيف؟ فلجا كتبسيط للفكرة وتمهيدا لها بأن يعطي مثالا بالبطلة الأولمبية" ويلما رودلف الملقبة بالغزالة

السوداء، قد أصبحت بطلة سنة 1960 في سباق لـ 100 متر و200 متر بعدما عاشت الإصابة بشلل الأطفال، ولكن التعويض يمكن أن يجري على صعيد خيالي، كما يفعل الفيتوري في عالم الشعر، فكل نقص (Insuffissane) يقتضي تعويضا (compensation) حسب نظرية إدلر"[23].

4.4 العدد الحسابي:

استعمل العدد الحسابي كتواريخ ضبط بها ظهور المناهج والمصطلحات الّتي صحبتها عند الغرب والعرب، وهو استخدام لابدّ منه، إذ تستدعيه الدّراسة التّاريخيّة الّتي تبنّاها ليعرض المناهج وروادّها وأسسها أو كتحديد لصفحات كتاب أو عددها.

ويبدو أن هذا الاستخدام الرياضي التي شملته كتابات وغليسي النقدية لم تكن وسيلة بقدر ما كانت غاية من أجل كشف "العلاقات بين ظواهر لا يبدو أن بينهما أي علاقة إن إيجاد الصلات الخفية بين ظواهر مستقلة ظاهريا هو الذي يجعل الطريقة العلمية قوية ومقنعة"[24]. خاصة ما إذ تعلق الأمر بتمثيل عددي لعناصر أدبية متشابهة أو غيرها، يكون غايته منها إيجاد العلاقة بينهما (لتحديد نسبة التقارب بينهما أو التنافر أو علاقة الجزء بالكل أو العكس).

لكن هل يمكن أن نعدّ هذا الإجراء الحسابي والإحصائي دائما ناجعا كممارسة نقديّة؟

في حقيقة الأمر لابدّ أنّ العمليّات الذّهنيّة والتّقنيّة إذا اتّبعت خطواتها الإجرائيّة بدقّة متناهية ستمنحنا نتيجة صائبة، لكن هل هذه الحقيقة ستشمل العلوم الإنسانيّة وبالأخصّ الدّراسات النّقديّة للأعمال الأدبيّة؟

قد شمل توظيفها جانبين:

جانب إيجابي: إذ استطاع النّقد وخاصّة النّصاني أن يفرض أحقيّة العلميّة اللازبة به، إذ مارس التّحليل النّقدي آليّات علميّة خاصّة بالتّوظيف الرّياضي وإجراءاته في العديد من الأعمال الأدبيّة.

جانب سلبي: إذ بيّن يوسف وغليسي بعد دراساته لعدّة أعمال نقدّية هذا الإخفاق، كالإجراء الحسابي الّذي وضعه الدكتور محمد ناصر في مجال تطبيقه (4+3+4+2=19) والصّواب طبعا هو 13[25]. لكن هذه المحاولة الخاطئة الّتي مسّت مساواة غير صحيحة يمكن أن تكون لزلّة كتابيّة. فكيف يمكن لناقد قد أجرى عدّة إجراءات إحصائيّة أعمق وأدقّ منها أن يضع مساواة خاطئة.

كما بيّن نوعا آخر من سلبيات هذا التّوظيف كحساب البحور الخليليّة للقصائد المذكورة والّتي مثّلها صاحبها بعدد خاطئ وأعاد وغليسي مراجعتها وأورد أرقاما أخرى أدقّ منها. بالإضافة إلى حساب تواترات الشّخصيّة في الرّواية هو حساب لا خطأ فيه، وإنّما من النّاحيّة التّحليليّة النّقديّة قد أجحف تراتبات بعض الشّخصيّات على الأخرى، إذ تتقدّم شخصيات على أساس أنّها من الشّخصيات الرئيسية لكونها أخذت أكبر نسبة تواتر.

5. خاتمة:

من خلال ما تمّ تقديمه توصّلنا إلى جملة من النّتائج تتمثّل في:

- إنّ النّقد الأدبي قد اتجّه نحو منحى علمي في ظلّ المناهج الحداثيّة وما بعدها.
- اتّكأ النقد الأدبي على عدّة علوم تعتمد الدّقة والعلمية في دراساتها الأدبية كالريّاضيات فوظّف مصطلحاتها ومارس إجراءاتها.

- تستدعي الكثير من الممارسات النّقديّة آليات علميّة كالإحصاء الّذي يعتمد على إجراءات رياضية كحساب التواتر والنسبة المئويّة كتحليل مصطلحي ما في حقل ما أو منهجي كالتحليل الأسلوبي والبنيوي.
- يمتاز الإجراء العلمي بالدقة في تقديم النتائج، لكن ليست صائبة مع كل الممارسات النّقديّة وخاصّة ما تعلّق بالرّواية، فقد تخفق في ضبط تواتر الشخصيات فتؤثّر في ترتيبها.
- أثبت يوسف وغليسي مهارته في تحويل مسألة لفظيّة إلى تعبير ريّاضي بآليات مختلفة.
- إنّ الإجراء الرياضي ومصطلحاته يبقى آلية مساعدة يستعين بها النّاقد لممارسة منهجية نقديّة تحتاج دقّة علميّة.

6. المراجع

[1] زكي نجيب محمود: أسس التفكير العلمي، دار المعارف، القاهرة، د.ط، د.ت، ص 13.

[2] محمد محمد قاسم: المدخل إلى مناهج البحث العلمي، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1999، ص 41.

[3] بتصرف، عبد الله خضر حمد، مناهج النقد الأدبي السياقية والنسقية، دار العلم، بيروت، ص 157.

[4] المرجع نفسه، ص 154.

[5] المرجع نفسه، ص 147.

[6] صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر ومصطلحاته، ميريت للنشر، القاهرة، ط1، 2002، ص 115.

[7] المرجع نفسه، ص 114.

[8] يوسف وغليسي، النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنيّة، إصدارات رابطة إبداع الثقافية، الجزائر، د.ط، 2002، ص 145.

[9] يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي مفاهيمها وأسسها، تاريخها وروادها وتطبيقاتها العربيّة، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط3، 2015، ص 78.

[10] بتصرف، المصدر نفسه، ص 91.

[11] محمد محمد قاسم: المدخل إلى مناهج البحث العلمي، ص 227.

[12] حمد عبد المطلب: مناورات الشعرية، دار الشروق، القاهرة، ط2، 1996، ص 11، نقلا عن يوسف وغليسي: مناهج النقد المعاصر، ص 126.

[13] عبد العزيز هيكل: مبادئ الأساليب الإحصائيّة، دار النّهضة العربية، بيروت، 1974، ص 08.

[14] يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي مفاهيمها وأسسها، تاريخها وروادها وتطبيقاتها العربيّة، ص 120.

[15] يوسف وغليسي: الرؤيا الشعرية والتّأويل الموضوعاتي . الهاجس الأفريقي في شعر محمد الفيتوري نموذجا، عالم الفكر، المجلد 32، العدد 1، 1يوليو2003، ص 187.

[16] نقلا عن يوسف وغليسي، بتصرف، مناهج النقد الأدبي مفاهيمها وأسسها، تاريخها وروادها وتطبيقاتها العربيّة، ص 96. Ipid p125.

[17] يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008، ص 142.

[18] https://ar.m.wikipedia.org.

[19] يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي مفاهيمها وأسسها، تاريخها وروادها وتطبيقاتها العربيّة، ص 168.

[20] المصدر نفسه، ص 111.

[21] المصدر نفسه، ص 108.

[22] يوسف وغليسي: الرؤيا الشعرية والتّأويل الموضوعاتي . الهاجس الأفريقي في شعر محمد الفيتوري نموذجا، ص 198.

[23] بتصرف، يوسف وغليسي، الرؤيا الشعرية والتأويل الموضوعاتي، مجلة عالم الفكر، ع8، مجلد32، يوليو–سبتمبر 2003، ص 192.

[24] محمود باكير: في ظلال الرياضيات لماذا تقدموا، ولماذا تأخرنا؟ مجلة العربي، الكويت، ع 691، يونيو 2016.

[25] يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي، ص 129.